بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا وقائد دربنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـــــد . . .

فقد تنادي الكثيرون في المشرق والمغرب – ولا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ – إلى الحوار بين الأديان، وخصوصا الدينين الكتابيين الكبيرين: المسيحية والإسلام.

وتجاوب الكثيرون مع هذه الدعوة، والتقى المسلمون والنصارى في عدة لقاءات ومؤتمرات في أكثر من بلد، وشاركت شخصيا في حضور مؤتمرين كبيرين:

أحدهما: في روما بدعوة من جمعية سانت جديو

الشهيرة، وهو المؤتمر الذي سموه (القمة الإسلامية المسيحية) نظرا لأهمية الذين شاركوا فيه من الجانبين.

والثاني: كان في القاهرة بدعوة من المجلس الأعلى العالمي للدعوة والإغاثة ومنتدى الحوار الإسلامي، وكان التركيز فيه على نصارى الشرق أكثر من غيرهم.

كما شاركت في مؤتمرات ولقاءات أخرى، وإن لم تكن على هذا المستوى.

وهنا تعالت أصوات كثيرة داخل العالم الإسلامي تنادي: لماذا لا يتحاور المسلمون بعضهم مع بعض؟ أليس هذا من الأولويات؟ أليس الحديث يقول: «ابدأ بنفسك»[1] والحديث الآخر يقول: «ابدأ بمن تعول»[2]

ترى: هل ما بيننا نحن المسلمين بعضنا وبعض من الخلاف: أوسع وأكبر مما بيننا وبين أهل الأديان الأخرى؟ ولماذا إذن لا نتحاور، بغية التفاهم والتقارب؟

ولا شك أن منطق الدين والعلم والواقع يؤكد: أن حوار المسلمين بعضهم مع بعض أحق وأولى بالاهتمام من الحكماء والعقلاء من أبناء الأمة، وإذا كنا مأمورين بالحوار مع مخالفينا من أهل الديانات الأخرى، بقوله تعالى:

---

(١) رواه مسلم فى الزكاة (٩٩٧) عن جابر بن عبد الله والنسائى فى «الكبرى» فى الزكاة (٢٣٣٨) وفى المجتبى (٤٦٢٥).

(٢) رواه البخاري في الزَّكَاة (١٤٢٦) والنسائي في «الكبرى» في الزَّكَاةُ (٢٣٣٦) وفي «المجتبى» في: الزَّكَاة (٢٥٤٤) عن أبي هريرة.

﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] أفلا نحاور من تجمعنا به العقيدة الواحدة، والقبلة الواحدة، وكلمة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)؟

لهذا أعتقد أن اهتمامنا بالحوار الإسلامي المسيحي، لا يجوز أن يزيد أو يجور على اهتمامنا بالحوار الإسلامي الإسلامي، ولا سيما بين الفئتين الكبيرتين: السنة والشيعة، بغية التقريب بينهما بالحق لا بالباطل.

إن اللقاء والحوار وتبادل الأفكار، يساعدنا على أن يفهم بعضنا بعضا، ويقترب بعضنا من بعض، ويزيل الجفوة، وينشئ المودة، ويجلو كثيرا من الغوامض، ويزيح الكثير من الشبهات، وذلك إذا خلصت النيات، وصحت الأهداف، وقويت العزائم، وغلب العقل على الهوى، والحكمة على التهور، والوسط على الشطط.

على أن هنا عاملا مهما يدعو الأمة كلها، بجميع مذاهبها ومدارسها وطوائفها: أن تتقارب وتتلاحم وتتضامن فيما بينها. وهو الخطر الداهم الذي يهدد الأمة جمعاء، إن لم تقف له بالمرصاد. إنه خطر تجمعت فيه الصهيونية والصليبية والوثنية، رغم ما بين بعضها وبعض من خلافات، ولكن جمعهم العدو المشترك وهو الإسلام، وصدق قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٩]

وإذا جاز للأمة - وما هو بجائز - أن تفترق في أيام الرخاء والعافية، فلا يجوز لها أن تتفرق في أيام الشدة والبلاء، فإن الشدائد تجمع المتفرقين، والمحن توحد المختلفين، والأخطار تقرب المتباعدين. ورحم الله أحمد شوقي حين قال:

إن المصائب يجمعن المصابين!

لهذا رحبت بدعوة نائب رئيس الوزراء ووزير الشؤون الإسلامية الصديق الكريم الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة، للمشاركة في (مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية) الذي يعقد في مملكة البحرين تحت رعاية ملكية سامية، وكتبت هذه الورقة (مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية) راجيا بها أن أضيء شمعة في طريق التقريب بين الجماعات والطوائف والمدارس الإسلامية، في هذا الوقت العصيب الذي تتعرض فيه الأمة لكل أنواع الغزو: الديني والثقافي والاقتصادي والسياسي والعسكري، ويريد خصومها أن يغيروا هويتها، ويمسخوا شخصيتها، ويجعلوها ذيلاً لهم، وقد جعلها الله رأساً! وهي أحوج ما تكون إلى وحدة الهدف، ووحدة الصف، وأن تعتصم بحبل الله جميعا ولا تفرق. وواجب علماء الأمة ودعاتها ومفكريها - وهم عينها التي بها تبصر، وعقلها الذي به تفكر، ولسانها الذي به تعبّر - أن ينبهوها إلى ذلك، حتى لا تغلب على أمرها، وتسقط في يد أعدائها، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم.

القاهرة جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ
يوليو ٢٠٠٤م

يوسف القرضاوى

تمهيد

ما المراد بالتقريب بين المذاهب؟

ليس المراد بالتقريب بين المذاهب: أن يتنازل السني عن سنيته، ويندمج فى مذهب الشيعى، ولا أن يتنازل الشيعي عن شيعيته، ويذوب فى مذهب السنى. فهذا ليس مقصودا لأى واحد من الطرفين، وإن كان كل منهما يتمنى ذلك. ولكن الحياة لا تسير عجلتها بالتمني.

وذلك لأن المذاهب التي استقرت منذ قرون، وتوارثها الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد، ونشأ عليها الصغير، وهرم عليها الكبير: ليس من السهل أن يتخلى عنها أصحابها بمقالة تقرأ، أو بخطبة تلقى، أو ببحث يكتب، أو بندوة تعقد.

إنما المطلوب من الحوار والتقريب هنا: تصفية الأجواء مما يكدرها من أسباب التوتر، وسوء الظن، وفقدان الثقة بين الفريقين، مما يمكن أن يؤدي - إذا تفاقم واستمر - إلى فساد

ذات البين، وفساد ذات البين، كما قال رسول الله ﷺ، «هي: الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» (١).

ولا أحسب مسلما - سنيا كان أو شيعيا - يحب أن يحلق دينه، كما تحلق الموسى الشعر، بل كل منهما يحب أن يبقى دينه محفوظا موفورا.

ولكى نعمل على تصفية الأجواء، ينبغي علينا: أن ندع الأشياء التى توغر الصدور، والتي توقظ الفتن، والتي تثير النزاع، وأن نبحث عما يقرب لا عما يباعد. فلقاءات (التقريب) ليست لقاءات (مناظرة) يحاول كل طرف أن يقوي حجته، وأن يدحض حجة الطرف الآخر، ليكون له الظفر، وتتم له الغلبة على خصمه.

ليس هذا مرادا هنا بالتأكيد، فهذا من شأنه أن يثير لا أن يهدئ، وأن يباعد لا أن يقرب.

---

(١) جزء من حديث ونصه: «دب إليكم داء الأمم: الحسد والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم» رواه أحمد فى المسند (١٤١٢) عن الزبير، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٠)، وقال: حديث صحيح، والطيالسي في المسند (١/٢٧) وأبو يعلى فى المسند (٢/٣٢)، والبيهقي فى الكبرى كتاب الشهادات (١٠/٢٣٢)، وقال الهيثمي فى المجمع: رواه البزار وإسناده جيد (٨/٦٤).

ولقاءات التقريب لا تمنع من لقاءات أخرى تعقد فى صورة حلقات ضيقة، يجتمع فيها أهل العلم من دعاة الاعتدال من الطرفين، بعضهم إلى بعض، ويحددون بعض القضايا للنظر فيها فى ضوء الأدلة، وفي ظل الأخوة، وبروح العلماء الذين تتسع صدورهم للرأي الآخر، ولا يتعصبون تعصبا أعمى لرأى، وإن كان شائعا ومتوارثا.

ويحسن بهم أن يبدأوا بالمسائل الأقرب إلى القبول، والأقل حساسية في أمور الخلاف.

والمهم هنا هو تأكيد مفهوم التقريب، والحوار الذى يتم بقصد تحقيقه، فلا بد أن نراعي مبادئه من حيث الغاية، ومن حيث المضمون، ومن حيث الأسلوب.

* * *